المحاضرة الثانية بعنوان :
"اللسانيات الحديثة مفهومها وموضوعاتها ومجالاتها في الثقافتين العربية والغربية"

توطئة: أصبحت اللسانيات من أشهر العلوم الإنسانية التي استطاعت أن تطبق مفاهيم البحث العلمي على موضوع اللسان بكل تفصيلاته المعقدة، وكان كل ذلك بعد نشر كتاب "**المحاضرات في اللسانيات العامة**" سنة *1916* من خلال الأمالي السوسيرية على طلبته بين الفترتين *1906* و*1911* في كولاج دو فرانس و التي اجتهد على جمعها كل من **ألبرت سيشهاي وشال بالي**، ثم نقلها إلى أوروبا الشرقية بفضل **سيرج كورسفسكي** حيث وضعها بأمانة شديدة في فكر كل من **ياكبسون وماثيسيوس والأمير نيكولاي تروباتسكوي**، حيث أسهمت في بلورة أطروحة براغ التي قدّمت في براغ ثم في أمستردام بعد ذلك، ثم جاءت مرحلة إعادة نشر هذا الكتاب باللغة الإيطالية من لدن "**تيلو دومورو**" سنة *1968* والمترجمة إلى اللغة الفرنسية سنة *1972* م، من طرف **جان لويس كالفي**، فهذه الرحلة لهذه المحاضرات قد مرّت على اللغة العربية بدءاً من سنة *1984* م، وفي كلّ ذلك إلاّ أنّنا لا نجد تعريفا وافيا لهذا العلم الذي نقل كل العلوم الإنسانية إلى مصاف العلوم الدقيقة، وفيما يأتي سيتم تحديد اللسانيات من حيث تعريفها وموضوعها وغايتها ومختلف مجالاتها في الثقافتين العربية والغربية.

أ) اللسانيات العامة؛ حدها موضوعها وغايتها: يعدّ هذا العلم الذي يتضمنه هذا المصطلح من أكثر العلوم شهرة في مجال العلوم الإنسانية، وبشكل خاص في النصف الثاني من القرن العشرين حيث حاولت باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية أن تحذو حذوها في تطوير مناهجها وسلك دروبها في الصرامة العلمية نظرا للنتائج الباهرة التي توصلت إليها في ميدان اللغة، وقد لخص "**كلود لفي ستراوش**" هذه الحقيقة في عبارة "**اللسانيات علم قيادي**"[1] أي أنها في مقدمة وصدارة العلوم المتعلقة بحيثيات الإنسان والتي تقودها نحو العلمية والموضوعية بشكل تنتخبها لتكون في مصاف العلوم التجريبية والدقيقة كالرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية..الخ.

أولا. حدها اللغوي: تأتي لفظة "**لسانيات**" في الاستعمال العربي على وزن الرياضيات والطبيعيات والفيزيائيات..الخ، لتكون المصطلح المقابل للفظة الفرنسية (***Linguistique***) والإنجليزية (***Linguistics***) والألمانية (***Sprachwissenchaft***) والدانمركية (***linguistica***) وهي كلها تعود إلى الأصل اللاتيني "***Lingua***" التي تعني اللغة، ويرجح المؤرخ الفرنسي "**جورج مونان**" بأن أول ظهور للكلمة في الاستعمال الفرنسي إنّما كان سنة ***1833***م، في حين قد ظهر اسم الفاعل منها (**لساني**/***linguiste***) في المراحل التاريخية السابقة عن هذا التاريخ، يقول: "..ويرجع تاريخ استعمال هذه اللفظة لأوّل مرة منذ عام 1833م في حين وردت كلمة (لساني) على لسان رينوار [: F .RAYNOURD choix des poésies troubadours] منذ سنة 1816م في كتابه منتخبات للشعراء المتجولين

[1]-**la linguistique est devenue une science pilote**). Voire : Georges Mounin , *Clefs pour linGuistique* . Collection Clefs SEGHERS , Paris , 1er édition, 1968, p19

ج1، ص1.."[1] وقد ساعد هذا التحديد التاريخي الباحثين في حصر السياقات لإظهار المعاني الأولية لهذه الكلمة، كما ساعدت علماء القرن التاسع عشر والعشرين على استعمالها في تسمية هذا المجال، وهذا الضّبط الذي بدأ به مونان تأريخه قد تجاوزه "**روبن هنري روبنز**" في موجزه و"**برتيل مالمبرغ**" في لسانياته، وسبب ذلك –في نظرنا– أنّهما لم يعتدا بالبحث في التأصيل اللغوي والتأثيلي لها لكثرة تناولها بذلك ولالتصاقها أكثر بالتحديد العلمي والاصطلاحي، فبعد سوسير أصبح التحديد اللغوي قليل جدًّا لا ينتبه إليه إلاّ من باب التحصيل التعليمي فقط في حين تمّ التوسع في الحدود الاصطلاحية لها، غير أنّنا نسجل في معجم (Le petit ROBERT) تحديدا زمنيا آخر يخالف ما سبق ذكره مع مونان؛ إذ يرى بأنّ صيغة اسم الفاعل "**لساني**" قد ظهر أوّل مرة سنة ***1632***م، ثم أهملت في الاستعمال وقلت في المؤلفات، ثم أعيد إحياؤها سنة ***1823***م، وفي ذلك ينص: **"..اللساني من اللاتنية "*lingua*" وهو الاختصاص الذي يجمع كلّ من اللسانيات وعلم اللهجات والتأثيلية والنحو والمعجمية والصوتيات والفنولوجيا والدلالية والأسلوبية.."**[2] ويستفاد من هذا أنّ كل من يشتغل في هذه الحقول المعرفية فإنّه حقيق بصفة اللساني، ونحن نرجح هذا التحديد على ما قدمه مونان لسببين:

أ)- أنّ المعجم أكثر تخصصًا في تتبّع تاريخ الكلمات اشتقاقيا (**إتمولوجيا/تأثيليا**).

ب)- أنّ وسائل البحث والتقصّي أكثر يسرًا ودقّة عند المعجم الذي وضع لهذا الغرض من ج. مونان.

هذا والملاحظ في أغلب المعاجم الغربية عند تحديدهم لهذا المفهوم هو أنّ معناها اللغوي والاصطلاحي يكاد يكون واحدًا مع اختلافات طفيفة، خصوصا في بداية ظهورها، والتي تعني: الدراسة المقارنة والتاريخية للغات (**النحو المقارن/ الفيلولوجيا المقارنة**)، وما دامت الكلمة قد تناسب ظهورها مع هذا النوع من الدراسات فإنّ الاستعمال اللغوي لها لا يبتعد كثيرًا عن تداول العلماء الغرب لها بهذا المعنى مع اختلاف وتفصيل جزئي لها كما أشرنا إلى ذلك سالفا.

ب)- اللسانيات في اللغة العربية: إنّ مصطلح اللسانيات واللسانيات العامة* هو آخر تواضع واتفاق بين الباحثين العرب من مادة [**ل. س. ن**] على وزن [**فعْل**] للتدليل على علم اللغة وكان ذلك في إطار فعاليات المؤتمر الدولي للسانيات واللغة العربية، الذي انعقد في الجامعة التونسية بتاريخ: (***19/13* ديسمبر *1978***م)،[3] ثم تمّ تعميمه واعتماده من لدن (الهيئات العلمية العربية)[4] أمّا قبل ذلك –وحتى بعده– فإنّ هذه الكلمة كانت ترد في الكتابات اللسانية بصيغ مختلفة على نحو ما نجده من الألسنية

---

1)- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين**، ص1

2)- Le petit Robert, Dictionnaire de la langue Française1. P1098 (ترجمة الباحث)

*)- وقد ذكر الباحث عبد السلام المسدي في قاموسه أكثر من ثلاثة وعشرين مصطلحا كان يستعمل بمعنى اللسانيات، وهي: **اللانغويستيك، فقه اللغة وعلم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللغة العام والحديث، علم فقه اللغة، علم اللغات علم اللغات العام، علوم اللغة، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانة، الدراسات اللغوية الحديثة، الدراسات اللغوية المعاصرة النظر اللغوي الحديث، علم اللغويات الحديثة، اللغويات الجديدة، اللغويات، الألسنية، الألسنيات، اللسنيات وأخيرا اللسانيات**. للتفصيل أكثر يستحسن العودة إلى: عبد السلام المسدي **قاموس اللسانيات**، دط، تونس، الدار العربية للكتاب، 1984م، ص72، غير أنّنا إذا عدنا إلى التراث العربي نجد بأنّ الفارابي كان أوّل من استعمل تركيبة (علم اللسان) في كتابه الشهير (**إحصاء العلوم**) للدلالة على هذه الصناعة، يقول" **.. علم اللسان ضربان، أحدهما.. والثاني علم قوانين في صناعة أقاويل كلية..**" ينظر: أبو نصر محمد الفارابي، **إحصاء العلوم**، دط، بيروت لبنان، 1991م، ص9 بتصرف

3)- أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**. صVII

4)- خولة الطالب الإبراهيمي، **مبادئ اللسانيات العامة**. ط1، الجزائر، دار هومه، 2000م، ص32، الهامش رقم (1)

وعلم اللسان بإفراد وجمع العلم، أو من أصل مختلف كاللغويات واللغوية وعلم اللغة فضلا عن تداخلها مع العلوم المتاخمة كفقه اللغة والتركيبيات وغيرها.. وقد علّق على ذلك المسدي، قائلا: "..**كان المصطلح المتداول في تونس هو الألسنية وهو أقدم المصطلحات تاريخيا لأنه صيغ في فلسطين سنة 1938م، ثم راج في لبنان وفي مصر استعمل مصطلح علم اللغة، ووضع علي عبد الواحد وافي أوّل كتاب فيه عام 1941م، واختار له ذلك المصطلح عنوانا، وكان الجزائريون قد وضعوا مصطلح اللسانيات وبه سموا معهدًا مختصًا وبه أيضا أصدروا مجلة متخصصة فيه، وفي المغرب استخدم مصطلح اللسانيات..**"[1] وهذا يدّل على التشتّت في استخدام المصطلح في أقطار العالم العربي، لكن المنافسة كانت أشدّ في الحقيقة بين مصطلحين فقط، هما: (**علم اللغة/ اللسانيات**) وقد انقسم استعمال المصطلحين بعد الاتفاق الذي حصل في تونس إلى المشرق والمغرب العربيين، وقد كان تمّام حسان السبّاق إلى إبداء تحفظه تجاه مصطلح اللسانيات وتفضيله –على هدي من أشياخه– علم اللغة، يقول: "..**في الندوة التي عقدت بتونس [...] نرى اتفاقا بين الحاضرين من المشتغلين بالدراسات اللغوية على تسمية "علم اللغة" باسم "اللسانيات"غير أنّني أفرق هنا بين مصطلح جرى استعمالها فعلا على أقلام المؤلفين لأوضح الفارق بين كل منها، والآخر ومن هنا أتحفظ مؤقتا بمصطلح علم اللغة..**"[2] فقول تمام هنا يوضح بجلاء رغبته ورغبة المشارقة في الاحتفاظ بمصطلح "**علم اللغة**" الذي عهدوه ودرجوا على استعماله منذ أيام **زيدان والطهطاوي** ثم ترسخ أكثر **مع إبراهيم أنيس** وغيره، وتتابع في ذلك سلسلة من المؤلفات التي تصدرها **أحمد عمر مختار ومحمود فهمي حجازي ومحمد عيد وأنيس فريحة والسعران**...الخ، ومازال كثير منهم يستعمله بالرغم من غلبة مصطلح (**اللسانيات**) –هذه الأخيرة– التي توطنت أكثر فضلا عن المغرب العربي في سوريا والسعودية والعراق وسوريا، لكننا نسجل في هذا الموضع –وباستغراب– استعمال الحاج صالح تركيبة "**علوم اللسان**" كجزء من عنوان كتابه "**بحوث ودراسات في علوم اللسان**" الذي نشره سنة ***2007***م، بالرغم من قدم عهده بمصطلح "**اللسانيات**" الذي اطرد في مؤلفاته السابقة واللاحقة، يقول في مقدمة الباب الأول منه بعنوان: (**مدخل إلى علم اللسان الحديث**) "**.. إنّ العلم الذي يطلق عليه البلدان الأوربية والأمريكية الآن (*linguistics*)[3] يعنون بذلك علم اللسان..**"[4] ولكن مع كل هذا التفصيل إلاّ أن هذا الاختلاف لا يؤدّي في غالبيته إلى عدم الفهم وإدراك هذا العلم، ومع ذلك فإنه تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من الاتفاق الكلي –تقريبا– بأن المؤسس الفعلي لهذا العلم هو ف. دي سوسير (1857/1913م) من خلال نشر محاضراته تحت عنوان (Cours de linguistique

---

[1]- عبد السلام المسدي، مقال بعنوان: " **علم اللغة أم اللسانيات؟**" جريدة الرياض، السعودية العدد رقم (12)، د ت.

[2]- تمام حسان، **الأصول؛ دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**. ط1، القاهرة مصر، عالم الكتب، 2000م، ص 238 الهامش رقم (1) –بتصرف– غير أنّنا لم نسجل أي اختلاف من لدن المؤلفين في التفريق بين المصطلحين اللهم إلاّ عند الذين اشتغلوا بعلوم اللسان العربية التراثية، وهذا أمر آخر سنصل إليه في الفصول الآتية من هذا البحث.

[3]- وما تجدر الإشارة ههنا هو أن **تيلو دومورو** صاحب الطبعة النقدية للمحاضرات قد أشار في الحاشية النقدية رقم (68) ص 423، إلى أن العرب يستعملون كلمة لسان لما يسميه سوسير "langue" والكلام لـــ"parole" ينظر: -Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, Publié par Albert Séchhaye avec la collaboration de Albert Riedlinger, édition critique préparée par Tullio de Mauro, postface et traduction de Jean louis Calvet, Edition Payot, 1967, p423 وقد جاء النص الأصلي على النحو الآتي: ".ARABE : lisàn langue kàlàm parole"

[4]- عبد الرحمن الحاج صالح، **دراسات وبحوث في علوم اللسان**، ص7 والأغرب من ذلك أن هذا الكتاب كان في أصله مجموعة من المقالات التي نشرت على مدى سنوات وعقود في مجلة اللسانيات الصادرة عن الجزائر، وبالعودة إلى متن الكتاب فإنّه غالبا ما يستعمل مصطلح اللسانيات. فهل كان الحاج صالح بدوره مترددًا وغير واثق من قبول المجتمع الأكاديمي العربي لها أم أنّ هذا يعود لثقافة الرجل الواسعة وثراء لغته العلمية الوصفية؟ والباحث يميل إلى هذا الرأي الأخير.

générale)[1] إلاّ أنّ كلّ الترجمات العربية الخمس المشهورة لم تحمل في أية واحدة منها كلمة "**لسانيات**" وإنما جاءت بصيغ مختلفة على النحو الآتي:

أ- الترجمة اللبنانية عن الأصل الفرنسي، بعنوان: "**محاضرات في الألسنية العامة**" مجيد النصر ويوسف غازي. *1984*م.

ب- الترجمة المصرية عن النسخة الإنجليزية، بعنوان: "**فصول في علم اللغة العام**" أحمد نعيم الكراعين، *1985*م.

ج- الترجمة التونسية عن الأصل الفرنسي، بعنوان: "**دروس في الألسنية العامة**" محمد الشاوش ومحمد عجينة وصالح القرمادي *1985*م.

د- الترجمة العراقية عن النسخة الإنجليزية، بعنوان: "**علم اللغة العام**" يؤيل يوسف عزيز مراجعة يوسف المطلبي، *1985*م.

هـ- الترجمة المغربية عن الأصل الفرنسي، بعنوان: "**محاضرات في علم اللسان العام**" عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي *1987*م.

وعلى عكس من ذلك فإنّ المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات[2] قد أكّد على استعمال كلمة اللسانيات بدلا من المصطلحات الأخرى، واطرد ذلك في كلّ ثناياه لتكون المقابل العربي العلمي والرسمي لما هي عليه في اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

وبهذا ننتهي إلى القول:

إنّه رغم المجهودات الجبّارة التي سعت إلى توطين مصطلح "**اللسانيات**" إلاّ أنه كان على العالم العربي انتظار الجيل اللاحق الذي لم ينظر إلى ثنائية (**علم اللغة/ اللسانيات**)، و(**علم اللسان/ اللسانيات**) كالتزام معرفي وثقافي، وإنّما تجسد موقفه في أنّه اختيار ورغبة، وكان الحسم في هذه القضية لصالح اللسانيات، فما هي الأصول اللغوية العربية لها؟

ثالثا: اللسان في المعجمات العربية: لقد ذكرت كلمة "**لسان**" في أغلب المعاجم العربية القديمة والحديثة تقريبا، وبه جاء معجم ابن منظور "**لسان العرب**" لذا سنكتفي بما عرضه هو في هذا السياق.

لقد ذكر ابن منظور ما يزيد عن ثمانين موضعا اشتقاقيا لمادة [لـــ. س. ن] وقد خص منها ثلاثة أوضاع اشتقاقية للمعاني العامة والمتداولة له، وهي:

أ- **الجارحة**؛ ويعني به اللسان بمفهومه المادي أي العضو.

ب- **الرسالة والمقالة**؛ أي ما يريد أن يبلغه المتكلم ويقصده.

ج- **اللسان واللغة والكلام**؛ أي ما يتلفظ به المتكلم سواء أكان من ورائه قصد أم لم يكن.

وقد قال في الموضع الأوّل والثاني: "..اللسان؛ جارحة الكلام وقد يُكنى بها عن الكلمة فيؤنث حينئذ، وفي هذا المعنى ينشد بيتا للأعشى، نصه:

إنّي أتتني **لسانٌ** لا أُسَرُّ بها من عَلوَ لا عجب منها ولا سخر.

---

[1]- نشر كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" لسوسير سنة ***1913***م، وترجم لأوّل مرّة مباشرة إلى اليابانية سنة ***1928***م، وإلى الألمانية سنة (***1931***م)، ثمّ إلى الروسية عام (***1933***م)، وإلى الإسبانية سنة (***1945***م)، والإنجليزية (***1959***م) والبولندية سنة (***1961***م)، والإيطالية سنة (***1967***م)، وإلى اللغة العربية سنة (***1985***م).

[2]- جماعة من المؤلفين، **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات**. ط2، المغرب، مطبعة النجاح، 2002م، ص7

وقد علّق على ذلك ابن البري بقوله، اللسان هنا الرسالة والمقالة.."[1] أي ما يروم الإنسان والمتكلم إبلاغه ونص رسالته.

أمّا الموضع الثالث والتي تعني اللغة فقد نقل قولا لابن سيدة يتضمن شرحا دقيقا لهذا المعنى اللطيف، حيث قال: "..**اللسان المقوال، يذكر ويؤنث والجمع ألسنة فيمن ذكر مثل حمار أحمرة وألسن فيمن أنث مثل ذراع وأذرع لأن القياس ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث وإن أردت باللسان اللغة أنثت، يقال: فلان يتكلم بلسان قومه، قال اللحياني اللسان في الكلام يذكر ويؤنث..**"[2] وما انتهى إلى استنتاجه من هذا الكلام أن اللسان هو ما يتلفظ به المتكلم قصد إحداث فائدة وتحقيق مقصد وغاية، وقد جاء القرآن الكريم بأغلب هذه المعاني والمقاييس ومثال ذلك ما يأتي في الجدول الآتي:

الكلمة	الآية الكريمة
اللسان بمعنى الجارحة	﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ **أَلۡسِنَتُهُمۡ** وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النور: ٢٤
اللسان بمعنى المقال والرسالة وقول الزور.	﴿ وَتَصِفُ **أَلۡسِنَتُهُمُ** ٱلۡكَذِبَ﴾ النحل: ٦٢
اللسان بمعنى المقال والرسالة وقول الزور.	﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ **لِسَانِ** دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ﴾ **المائدة: ٧٨**
اللسان بمعنى المقال والرسالة وقول الحق	﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ **لِسَانَ** صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ مريم: ٥٠

أمّا اللغة فهي على -عكس كل ما سبق مع اللسان- الممتاز بالقصدية والوعي وعقد القلب على نية التبليغ، فإنّها تعني السقط وما لا يعتد به من كلام أو غيره، ولا يحصل منها فائدة ولا نفع، واحتج في ذلك ابن منظور بقول الأزهري، هذا الأخير الذي يرى أن "..اللغة من الأسماء الناقصة وأصلها لُغوة من لغا إذا تكلم.."[3] أي ما كان من الكلام غير المعقود عليه.

واللغة أخذت من هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام ما مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين،[4] ولم ترد كلمة اللغة في القرآن على الإطلاق ولكنها جاءت بصيغة اللغو على نحو ما نجده في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ **ٱللَّغۡوَ** أَعۡرَضُواْ﴾ [القصص: 55] وفي قوله أيضا: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ **ٱللَّغۡوِ** مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 3].

وهذا يعني ما لا يستحب من الكلام وما يعترض عليه، لكن سرعان ما خالطت هذه الكلمة ألسنة الناس وحدث لها ما يعرف عند الدلاليين بتطور الكلمة وانتقالها من معنى حقير إلى معنى عزيز لتدل عن اللهجة ثم اللسان ولا أدّل على ذلك من قول أهل هذا العصر اللغة العربية واللغة الفرنسية...الخ، ثم تحولت إلى مادة للعلم كقولنا علم اللغة كما سنرى فيما يلي.

---

1)- جمال الدين بن منظور، لسان العرب. **مادة [ل. س. ن]**.

2)- جمال الدين بن منظور، لسان العرب: **مادة [ل. س. ن]**

3)- جمال الدين بن منظور، لسان العرب: **[ل غ. و]**.

4)- المصدر السابق، **المادة نفسها**.

رابعا، اللسانيات في عرف العلماء: لقد عرفت اللسانيات بالرغم من اختلاف العبارات العلمية الواصفة والمصطلحات اتفاقا شبه كلي بين علماء اللغة من حيث حدّها العلمي وموضوعها وغن تباينت المناهج والنظريات بينهم إلا أن التحديد يشكل نقطة انطلاق لهم جميعا، وفيما يلي سنتحقق من ذلك بشكل –سريع- ابتداء من مؤسسها الفعلي سوسير.

ب/أ- اللسانيات السوسيرية [*1857/1913*م]: في وقت كانت الجهود تعمق وتدقق أكثر فأكثر لتكريس الترعة التاريخية واعتمادها أكاديميا لتمثل علمية الدرس اللغوي كان الإرث الأوربي مدينا لأعمال أكثر العقول استثنائية في تاريخ علم اللغة، أمثال: **شليجل وشلايشر وميلوسكي وراسك وشميدت وبوب**..الخ، في تناول الأحداث اللغوية والتي انتهت باكتشاف السنسكريتية كان سوسير يحاول تجاوز تلك النقائص التي كان لا يتردد في عرضها على طلبته بأمانة شديدة أثناء الدروس والفصول، ولا يتوانى لحظة في تسجل الآراء السديدة التي ينتخبها بحرص شديد،* وكان من البداية على الطرف النقيض من بعض النتائج المتوصل إليها، مما شجعه على بناء علم جديد أطلق عليه من البداية مصطلح اللسانيات.

لقد كان "**سوسير**" على وعي إبستمولوجي واضح وتام بأن الأشياء[1] " **لا تعرف بماهيتها ولا معنى لذلك**" وإنّما يتّم ذلك بحصر التقابلات الممكنة وبيان عناصرها وموادها، ولهذا فقد استهل المحاضرات بتحديد مادة اللسانيات والهدف منها في ثلاثة عناصر محورية تتفرع عنها مجمل الآراء العلمية، وهي:[2]

أولا: أن تصف وتأريخ لجميع أصناف اللغات التي يمكن أن نتوصل إليها، مما يقتضي التأريخ للغات الفردية ذات القرابة المشتركة وإعادة بناء اللغات الأصلية الأم لكل أسرة لغوية على قدر المستطاع. وهذا يعني تجاوز دراسة لغة محددة كما كان الحال في الدراسات السابقة فاللسانيات تعد بدراسة خصائص جميع اللغات التي يمكن الوصول إليها. [3]

---

*)- كتب سوسير تعليقا نقديا في مقال له لم يكتب له النشر عن العالم اللغوي الأمريكي ويليام وايتني يقول: "**..إن الأمريكي وايتني الذي أكن له كل إجلال، لم يقل في هذه الموضوعات (التصور النظري للغة .. دون تجاوز الاعتبارات اللغوية الصرفة) كلمة واحدة إلا وكانت صائبة**" ونحن نعلم جميعا قلة استشهاداته بعلماء عصره أو الذين سبقوه، ينظر: جورج مونان **تاريخ علم اللغة منذ نشأته إلى القرن العشرين**. تر: بدر الدين القاسم، ص226.

1)- نستعمل مصطلح المادة (Matière) هنا احتفاظا بمصطلح سوسير الذي افتتح به المحاضرات، وهي عنده مجموعة من الأحداث اللغوية الواقعة بشكل فعلي، (Tillo de **MOURO , C.L.G** , p414-415) ويمكن لهذه الوقائع أن تكون فضلا عن اللسانيات موضوعا لكثير من العلوم المتاخمة، ولهذا لا نستغرب استطراد سوسير في الفقرات الموالية من هذه المحاضرة ليصل إلى قياس وتحديد علاقة اللسانيات بالأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس والفيزيولوجيا والصوتيات والفيلولوجيا...الخ، بل أقرّ بأنّ هذه العلوم يمكن أن تقدّم معطيات هامةً للسانيات، والعكس صحيح (ينظر: فردينان دي سوسير، **محاضرات في علم اللسان العام**، تر: عبد القادر قنيني، دط، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق المغرب: 2006م ص18 –بتصرف)، وكان هدفه في ذلك التحديد ضرورة بناء نظرية لغوية مستقلة، (ينظر: محمد محمد العمري، **الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية؛ البنوية والتوليدية**. ط1، عمان الأردن، دار أسامة للنشر، 2011م ص21).

2)- فردينان دي سوسير، **محاضرات في علم اللسان العام**. ص18

3)- محمد محمد العمري، **الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية؛ البنوية والتوليدية**. ص24 بتصرف، والنسق: هو ما كان على نظامٍ واحدٍ من كل شيء، ويُقال نَسَقَ الشيء: نَظَمه. وانتسقت الأشياء، انتظم بعضها إلى بعض. (ينظر: المعجم الوسيط) والنسق عن البنيويين: **هو نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يُشكِّل كُلاً موحّدًا**. انظر: إديث كريزويل **عصر البنيوية**، تر: جابر عصفور، (مسرد المصطلحات، ص 415) . كما وضح روبرت شولز مسألة تركيز البنيوي على النسق، انظر: روبرت شولز **البنيوية في الأدب**، ترجمة: حنا عبود، اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا،1977م. نقلا عن ثامر إبراهيم محمد مصاورة، **البنوية بين النشأة والتأسيس؛ دراسة نظرية**، ص5

ثانيا: وأن تبحث عن القوى والأسباب المتعارضة بشكل دائم وكلّي في جميع اللغات، وأن تستخلص القوانين العامة التي يمكن أن تردّ إليها جميع الظواهر الجزئية في التاريخ، وبذلك تتخلص من رواسب النظرية العضوية وتقرّ بأنّ هذه التغيرات طبيعة خاضعة لقوانين محددة ومطردة.

ثالثا: وأنتحدد أخيرًا نطاقها بأنّ تصل إلى تعريفها الخاص، وهذا يعني رسم حدود اللسانيات حتى لا تمتزج مع العلوم الأخرى.

وانطلاقا من هذا التحديد –خصوصا الأخير– يرسم سوسير أولى لبنات اللسانيات بشكل واضح ومقنع بناءً على شروط عصره الإبستمولوجية في بناء العلوم وتسطير المناهج وأولى هذه الشروط هو التمكن من الإجابة على الإشكال الآتي: ما الشرط الضروري لقيام الظاهرة العلمية؟ والجواب على ذلك هو أن تكون الظاهرة المراد دراستها **مُؤَنسقةً** ولهذا يكون الحديث عن اللغة كموضوع الظاهرة العلمية للسانيات من الأهمية بما كان ترتيبها في الفصل الموالي مباشرة لتحديد اللسانيات،[1] التي أصبحت لأول مرة مع سوسير الدراسة العلمية للسان البشري.

أمّا أندري مارتنيه فلم يكن في منأى عن تطوّرات اللسانيات بفضل نشر المحاضرات وبفضل عضويته المبكرة في حلقة براغ، وقد حدد بدوره في فاتحة كتابه (**عناصر اللسانيات العامة**) بأنها الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري،[2] وقد شدد على كثيرا على مفهوم العلمية، ومفرقا بين اللغة التي نستعملها للتواصل والتي تتميز بالتقطيع المزدوج ومختلف أنظمة التواصل الأخرى ويكون بذلك قد اتّفق مع سوسير في ضرورة الشروع من البداية بتحديد مهام اللساني الذي يجب أن يضطلع بدراسة اللغة التي تهدف إلى التواصل فقط، وأن يطمح إلى الحدّ من الذاتية لتحقيق الشرعية العلمية المناسبة على نتائجه،[3] في حين يرى جورج مونان بأنّ سوسير قد فجر اللسانيات بنقلها أولا من **أداة للفكر** التي اعتبرت من المبادئ الثابتة لأكثر من عشرين قرنا إلى **أداة للتواصل** والتبليغ، ومن جهة أخرى قد حدّد في أوّل مراحل البحث اللساني وجوب دراسة آلية اشتغال اللسان وليس تاريخ.[4]

أمّا ديبوا فقد توسع أكثر في تعريف اللسانيات وتحديد أهمّ اتجاهاتها منطلقا من ربطها بمؤسسها الفعلي سوسير وصولا إلى أحدث فهم موضوعي لهذا العلم، يقول: "**.. ترتبط عموما اللسانيات كدراسة علمية للغة مع نشر محاضرات في اللسانيات العامة لسوسير..**"[5] وعلى هذا الاتجاه ينحو المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية الذي يقدم هذا العلم للقارئ العربي، ويبين أنّ اللسانيات "**..دراسة علمية للغة يقرّ كلّ باحث بشكل عام بأنّها ظهرت مع نشر كتاب سوسير 1916م، وتتوق هذه الدراسة العلمية إلى النظر في اللغة لذاتها دون اعتبارات خارجية عنها وذلك باستعمال طرائق تجريبية ذات بعد وصفي أفضى إلى ظهور عدة مدارس لسانية تابعة أو مخالفة..**"[6] أما معجم "**علوم العربية**" فقد فصل أكثر في ذلك وربطها بمستويات اللغة التي تقدمها العلوم اللغوية الأخرى كمعطيات دعم للسانيات –كما سبق ذكر ذلك–، حيث يقول: "**..علم اللغة (اللسانيات) هو علم يبحث في اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والمفرداتية والمعجمية والتطبيقية، وينضوي تحته علم الأصوات العام وعلم الأصوات التشكيلي –**

---

1) – Voire : *cours de linguistique générale*, p23

2) – André Martinet, *Elément de linguistique générale*. Armand colin, 4eme édition, Paris 1989, P6

3) – André Martinet, *Elément de linguistique générale*. P7

4) – Georges Mounin, *Clefs pour la linguistique*. Seghers, 1er édition, Paris 1968, P25

5) – John Dois, *Dictionnaire de linguistique*. La rousse, 1er édition, Paris, 19...., P300

6) – جماعة من المؤلفين، **المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية**، ص87

الفونولوجيا- وعلم الدلالة ويقابله المصطلح الأوربي ***linguistics***.."[1] وقد اكتفى ماري آن بافو عند التحديد الذي قدّمه لهذا العلم، بقوله:[2] "..إن اللسانيات المتصوّرة على هذا النحو، أي علمًا يعني باللسان في جميع تمظهراته هو ما يعدّ موضوعًا في غاية الاتساع.." أمّا الباحثون العرب الذين ألّفوا في هذا المجال واشتغلوا فيه فإنهم بدورهم حاولوا احتواء المعنى العلمي لها وهذا محمود فهمي حجازي منذ البداية يرى بأنّ "..علم اللغة في أبسط تعريفاته دراسة علمية للغة على نحو علمي، ويعني هذا التعريف أنّ الدراسات اللغوية موضوعية وليست انطباعية.."[3] كما يذكر محمد يونس باطمئنان اتفاق المجتمع الأكاديمي الغربي والعربي على تحديد اللسانيات ومجالها في الموضوع والمنهج، فيقول: "..يتّفق اللسانيون في القرن العشرين على أنّ اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة.."[4] وفضلا عن هذا تضيف خولة الطالب الإبراهيمي فتقول: "..أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشتركة بين بني البشر والجديرة بالاهتمام والدراسة بغض النظر عن كلّ الاعتبارات الأخرى.."[5] هذه الاعتبارات والمسوغات التي يمكن أن تكون نفسية شخصية أو اجتماعية قومية..الخ.

إنّ هذه التعريفات لمختلف العلماء والباحثين الغربيين والعرب تنتهي كلّها إلى تعريف واحد جامع مانع مفاده: اللسانيات هي الدراسة العلمية للسان البشري، فالقاسم المشترك بينها جميعا –والعديد غيرها- هي عبارتان (**الدراسة العلمية/ اللسان البشري**)، فكيف أمكن الجمع بين اللسان والعلم؟

خامسا، معنى اللسان وكيفية تحديد العلم له: وهي الخطوة الثانية التي بادر سوسير إلى تحديدها تحديدًا علميًا دقيقًا بوصفه مادة للسانيات وموضوعها الذي تصبوا إلى تحليله وأنسقته ***structuraliser*** حتى يتوفر على الجاهزية المنطقية المقبولة لتطبيق مختلف المفاهيم العلمية في فاتحة المحاضرة الثالثة[6] أين سجل مجموعة من الملاحظات، من أهمها:[7]

1-لا نستطيع معرفة حركة نطق الأصوات إذا تمّ إهمال التأثير السمعي.

2- الصوت وحدة مركبة سمعية، يؤلف بدوره مع المعنى تركيبة فيسيولوجية وذهنية.

3- للغة جانبان متلازمان (النفسي والاجتماعي).

وبهذه الاعتبارات ينتهي سوسير من إضفاء الشرعية العلمية على اللسان الذي استنتج أنّه في كلّ لحظة يتطلّب أمرين متلازمين وهما: "..النسق الثابت والمتطور في آن واحد" أين يتعذّر الفصل بينهما، ومن خلال هذه المقدمات الإبستمولوجية يطرح

---

[1]- محمد التنوخي، **معجم علوم العربية؛ تخصص شمولية أعلام**، دط، دار الجيل، بيروت لبنان، 1999م، ص301 –بتصرف

[2]- ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، **اللسانيات الكبرى؛ من النحو المقارن إلى الذرائعية**. تر: محمد الراضي. ص108.

[3]- محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**. ص17

[4]- محمد محمد على يونس، **مدخل إلى اللسانيات**. ص43

[5]- خولة الطالب الإبراهيمي، **مبادئ اللسانيات**. ص9

[6]- ونظرا لأهمية هذا المفهوم في اللسانيات فقد قدمها للطلبة بتاريخ 04 نوفمبر 1910م، وأعادها مرة أخرى في 25 أفريل 1911م، ولكن تشير نتائج المخطوطات إلى ما قبل ذلك بزمن بعيد، حيث يرجح أنّها ظهرت مسودات سوسير التي يعود تاريخها إلى ما بين 1893– 1984م، ينظر: Tillo De Mouro, coure de linguistique générale, p416 وعلى هذا التأريخ يتبين أن سوسير كان مهتما منذ بداية عهده (المرحلة الباريسية 1881– 1889م) بهذا العلم بالتحديد اللسان مستثمرا ما وجده عند العلماء الألمان من دقة الوصف وحسن الرأي بهذا الموضوع.

[7]- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام. ص22 –بتصرف–

الإشكالية الأكثر شهرة في تاريخ علم اللغة والتي سيكتب لها –فضلا– عن رسم مسار جديد هدم جلّ الأفكار التقليدية والإعلان عن محدوديتها وقلة نجاعتها في الوصول إلى حقيقة اللسان وصلب الحدث اللغوي[1] وهو: ***لماذا لا نفرق بين اللسان كبنية وتاريخه***؟ أي على اللسانيات أن تفرق في اللسان بين أصوله وشروطه الدائمة، فالبحث في أصوله يعني الاشتغال بالتاريخ وتحديد تغيراته وتطوراته من زمن إلى آخر ومن مرحلة معينة إلى أخرى، والبحث عن الأوضاع المتغيرة مع تفسيرها ومقارنتها وتحديد الشروط الحتمية المسببة لذلك مع إمكانية التنبؤ مستقبلا بجل التغيرات الممكنة.

وبالرغم من النتائج الكثيرة والظرفية التي توصلت إليها هذه الالتزامات المنهجية إلاّ أنها لم تصل إلى حقيقة اللسان، أي دراسة العوامل الداخلية باعتبارها نظاما من العلاقات الشكلية الداخلية، وبالتالي كان على سوسير –بادئ ذي بدء– التفريق بين ما هو خارجي عمّا هو داخلي للسان، وتوصل بذلك إلى إعادة رسم حدود المعرفة بين العلوم التي تشترك في دراسة هذا الموضوع وخصّ منه اللسان موضوعًا للدراسة العلمية ضمن إطار أوسع وهو السميولوجيا أي إعادة ترتيب المعرفة (وهو في الحقيقة هذا أكثر ما جعل العلماء بعده يقتنعون بآرائه ويتفقون معه في جلّ النتائج التي توصل إليها).

وهو ترتيب خارجي غرضه إزالة القيود عن اللسان، أمّا الترتيب الداخلي للنظرية اللسانية فقد تميزت السوسيرية بالتفريق العلمي والمنهجي الصارم بين **اللسان واللغة والكلام**، ولا يمكن بأي وجه التوغل في أفكاره أو نقدها ما لم يتم استيعاب هذه المفاهيم على نحو دقيق، وفي هذا السياق يقول: **"..ينبغي ألاّ يتم الخلط بين "اللغة" و"اللسان" فما اللسان إلاّ جزء محدد منها، بل عنصر أساسي، وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة. وإذا نظرنا إلى اللغة ككلّ، فإنّنا نجدها متعدّدة الجوانب ومتغايرة الخواص ولأنّها تمتدّ في غير اتساق إلى أصعدة مختلفة في آن واحد –منها الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية- فإنّها تنتمي في الوقت نفسه إلى الفرد وإلى المجتمع، ولأنه ليس بإمكاننا اكتشاف وحدتها، فلا نستطيع إذن تصنيفها في أية فئة من الوقائع البشرية.."**[2] ومن ثمّ يمكن الحديث عمّا هو قابل[3] للدراسة العلمية من غيره.

أمّا الفرق بين **اللسان والكلام** هو –أنّ هذه الأخير– ممارسة فردية للسان، وهو منجز يتضمن نشاطا شخصيا واعيا، أمّا من الوجهة اللسانية فهو النافذة التي يمكن أن يتغلغل فيها الباحث اللساني إلى اللسان واللغة، وذلك إبعاد واختزال الجوانب النفسية الخاصة بالفرد كالميولات الشخصية والانطباعات العاطفية، وأيضا الحد من سطو المجتمع التي تفرض معاملات نمطية وقواعد إجبارية تهدف إلى انصهار الأفراد في بوتقة المجتمع، وتكون ميزة خاصة بهذا المجتمع دون غيره... ونستخلص من التقاطعات الموجودة بين المتكلمين كلّ الأنساق التي يتضمنها اللسان كنظام، ومن هنا نلاحظ بأنّ اللسانيات العامة قد فرقّت بين ما هو لساني وما هو كلامي ونتج عن ذلك التمييز ثنائية (**لسانيات اللسان ولسانيات الكلام**) إذا فعلى اللسانيات أن تنطلق من الكلام وتنتهي باللسان ويكون ذلك ممكنا إذا وفقط إذا كانت تهدف إلى:

1–الولوج إلى حقيقة اللسان منظورا إليه باعتباره ظاهرة مشتركة بين بني البشر.

---

1)- **A chaque instant il implique à la fois un système établi et une évolution**. Voire ; Tillo De Mouro, coure de linguistique générale, p416

2)- أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**. ص123 بتصرف

3)- Louis HJELMSLEV, **Prolégomènes à une théorie du la langue**. Trad ; una Canger, Edition de minute, Paris, 1971, P11

2- تقنين الأنساق والبنيات التي تشكله وتتحكم في صورته وجوهره باطراد.

3- تحديد التقاطعات والأشباه الصوتية والتركيبية والنحوية .. مع فهم تمظهراتها وتجلياتها المختلفة بين اللغات.

4- تحديد خصائص عملية التلفظ وحصر العوائق الفردية والاجتماعية التي تعيق سبيلها.[1]

وكلّ هذه الأهداف والغايات تبقى مرهونة بالتميّز الدقيق الذي أقامه سوسير بكلّ صرامة بين (**اللسان والكلام/ النظام وتحصيل النظام**) والذي أصبح من المبادئ الأساسية في اللسانيات، غير أن –رولان بارث– قد علّق على هذا التمييز بين الثنائية السابقة بشكل يوحي إلى نقد ضمنيّ وبشكل خاص للطابع الجدلي التقابلي بينهما فقد رأينا –سابقا– بأنّ سوسير يصف اللسان بالثبات والكلام بالتغيير[2] وإلى هنا يساوق سوسير ويتفّق معه، ولكنّه يختلف معه في حالة نقلها من اللسانيات إلى السيمياء أين يرى (بارث) بأنّهما على قدر واحد من القيمة والأهمية، فيقول: "**.. من البديهي ألاّ يستمدّ أيّ واحد منهما تعريفه الكامل إلاّ من السيرورة الجدلية التي توجد بينهما معا..**"[3] وبالتالي فإنّ اللسان والكلام متلازمان ولا يستطيع أي واحد منهما الحضور في غياب الآخر، وما يضمن بقائهما معا هو هذه المقابلة الدائمة بينهما ضمن وسط اجتماعي معين، ولكن الخروج من اللسانيات إلى السيمياء هو خروج من الفرع إلى الأصل ومن المنطقي أن يتغيّر الموقف وحدوده ومجالات التطبيق، ومن هنا فإن بارث قد تحدث عن تغير في الأساس الإبستمولوجي له، وفي العادة لا يمكن ان يتم بجملة واحدة أو بمثال واحد.

سادسا: معنى العلمية ومفهومها في اللسانيات: قد يحمل هذا العنوان شيئًا من التخصيص، كأنّ يفرض على المتلقي فهمًا معينًا قد يكون مثلا أن "**العلمية في اللسانيات**" هي ميزة خاصة بها فقط ومختلفة عن غيرها من العلوم، والأمر ليس كذلك، لأنّ مبادئ العلم ومستويات فهمه يجب أن تكون واحدة سواء أكان الأمر فيها أم في باقي العلوم التجريبية الأخرى كالفيزياء والهندسة والرياضيات، وإن كانت في هذه الأخيرة أظهر وأبين ممّا هو عليه الحال في العلوم الإنسانية والاجتماعية لغلبة الجانب الميتافيزيقي فيها منذ القديم.

إنّ العلمية ومختلف شروطها ومراحلها المتعددّة ومقولاتها التأسيسية هي واحدة ويجب أن تكون كذلك، أمّا الاختلافات الممكن حصولها إنّما يكون عادة على مستوى مقاييس التطبيق والشرح ونتائج بعض الأعمال وطرائق التعليم، لكن القضية المثيرة هنا للجدل المنطقي، هو أن اللسانيات لم تكتسب بعد –على الأقل في زمن سوسير– التقاليد– العريقة للممارسة العلمية على موضوع اللغة التي مازال كثير من المنظرين يرى بأنّها تندرج ضمن المواضيع الميتافيزيقية التي لن نتوصل إلى كنه أسرارها بالتجربة، عكس باقي العلوم التجريبية التي تخلصت من هذا الوهم منذ زمن بعيد وترسخت فيها هذه المفاهيم التي يجدها المحلل جاهزة –سلفا– ضمن الترسبات المنهجية المحورية التي تشكلت على مرور الأزمان وتعاقب الحضارات، وسيطرت على مجمل الدرس العلمي والفلسفي والإبستمولوجي كالتجريبية الإمبريقية والعقلانية الاستبطانية والوضعية الصارمة، وهي بدورها قد سبقت أغلب العلوم ومثلت لها المرجعية التجريبية، وهي الملاحظة التي خرج بها كارل بوبر في نقده لمنطق العلوم العتيدة؛ إذ يقول: "**..ليس علماء**

---

[1]- السعيد شنوقة، **مدخل إلى المدارس اللسانية**. ط1، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر: 2008م، ص39 بتصرف

[2]- فيصل الأحمر، **معجم السيميائيات**. ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011م، ص93.

[3]- المرجع السابق، ص ن

العلوم الطبيعية ذوي عقول أكثر موضوعية من عقول علماء العلوم الاجتماعية، ولا هم نقديون أكثر منهم، وإذا كان ثمّة موضوعية أكثر في العلوم الطبيعية فلأن فيها تقاليد أفضل ومقاييس أرفع للوضوح وللنقد العقلاني.." [1] ومع ذلك يمكن اليوم التمييز بسهولة بين منطق التحليل اللغوي بين الأوربيين والأمركيين؛ أي بين البنوية السوسيرية وأتباعها والتشومسكية وأشياعها، بل وداخل المدرسة الواحدة نجد اختلافات وانقسامات، ففي الوقت مثلا: "..الذي كان فيه بلومفيلد وأتباعه يتساءلون (مرهقين) كيف يمكن أن نصف ما يقوله المتكلم والكاتب من كلام يمكن للملاحظ الخارجي أن يلاحظه عيانا؟ كان التشومسكيون يتساءلون (بارتياح وثقة) ماذا يدور في عقل المتكلم السليقي؟.."[2] إذا هذه الاختلافات المنهجية كانت نتيجة حتمية لتأثير المناهج على قناعات ومقدمات البحث العلمي، ولما كان سوسير أكثر تفهمًا لمواقف الوضعيين فقد اهتم بشكل خاص على الملاحظة المؤدية إلى حقائق وأسرار اللغة، وعرفت لسانياته بالوصفية، غير أن الذين تأثروا به وتبعوه بدءًا من الشكلانيين الروس (***formaliste***) وحلقة براغ (***Cercle de Prague***) اللغوية وانتهاءً بالسلوكية الأمريكية فقد حاولوا نقل الملاحظة والتجربة والوصف من البحث عن الحقائق إلى البحث عن الصلب المادي الميكانيكي للمادة اللغوية القابلة لذلك وقياس مدى توارد واطراد ذلك بالكيفية نفسها، وهذا تمثّل لتوصيات المترع الإمبريقي الشديد الذي وجد من خلالهم المنفذ إلى الاختلاط بالدرس اللغوي، ليتمخّض عن ذلك ما اشتهر بدءًا من أربعينات القرن الماضي بالترعة البنوية (***Structuralisme***)، وليس بعيد عن هذا يأتي التوليديون التحويليون على الطرف النقيض من البنوية التي شيأت (**Matérialisation**) اللغة وسوغت لنفسها –باسم الموضوعية– عدم فتح المجال أمام التسويغ والتأويل واكتفاؤهم بوصف الاطرادات المتسلسلة لينقلوا بذلك اللسانيات ليس فقط إلى منهج جديد يعتمد آثار المنهج العريق (العقلانية/***Rationalisme***) وإنّما لإعادة ترتيبها ضمن شجرة المعرفة (تراتبية العلوم) فنقلوها بشكل مقنع تماما من السيمياء إلى علم النفس الإدراكي، فهم لم يكتفوا فقط بإضفاء الشرعية العلمية لهذا التفسير بل ونقلوا اللغة والدرس اللساني عموما إلى ما وراء التفسير والتأويل "..فقد أصبح مجال الدراسة اللسانية هو اللغة الداخلية؛ أي المعرفة اللغوية المتمثّل لها في ذهن المتكلم والموجود ماديا في دماغه، وعلى المستوى المنهجي فقد دمجت اللسانيات في مجال العلوم الطبيعية وطوّر النحو التوليدي مقاربة نظرية عقلانية للغة تتجاوز حدود الوصف والتصنيف إلى التفسير وما وراء التفسير.."[3] إذا فاللسانيات قد عرفت نقلة نوعية وسريعة في وقت قصير نظرا لإمكانية دراسة اللغة دراسة علمية موضوعية، ونظرا لقبول المجتمع الأكاديمي والعلمي باعتبار اللغة ظاهرة علمية مؤنسقة (***Structurable***).

وفي العموم فإنّ الأطر المحورية المشكلة للمناهج العلمية في الأساس –والأمر خلافي وتفصيلي بين العلماء– هي على هذه المراحل:[4]

1. **الملاحظة**
2. **التجريب**

---

[1]- نوام تشومسكي، **اللسانيات التوليدية؛ من التفسير إلى ما وراء التفسير**. تر: محمد الرحالي. ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة. بن غازي ليبيا، 2013م،ص9

[2]- محمد محمد علي يونس، مقال "**الأصول الأنطولوجية والإبستمولوجية الموجهة للمدارس اللسانية في القرن العشرين**". مأخوذ عن موقع htt: takhatob.blogsport.com/2009.06blog-post_22html يوم الإثنين 22 يونيو 2009م، بتصرف (وما بين معقوفين من زيادة الباحث).

[3]- نوام تشومسكي، **اللسانيات التوليدية؛ من التفسير إلى ما وراء التفسير**. تر: محمد الرحالي، ص 10 بتصرف.

[4]- السعيد شنوقة، **مدخل إلى المدارس اللسانية**. ص 105 بتصرف

3. **الاستقرار المستمر**
4. **الاستدلال الفعلي**
5. **العمليات الافتراضية والاستنتاجية**
6. **استعمال النماذج والعلاقات الرياضية**.[1]

خاتمة: إنّ اللسانيات العامة قد خطت خطوات جبارة أسهمت بشكل مباشر في تعميق معرفتنا بموضوع اللغة البشرية، وكشفت عن أهم وظائفها وخصائصها الداخلية وأصبحت تتفرع إلى علوم ومعارف جديدة تترصد الذكاء الاصطناعي من خلال اللسانيات الحاسوبية وجعلت في ذلك نظريات علمية عميق نجحت في إعادة توصيف اللغة توصيفا رياضيا، وفي قياس ذلك فقد تأخرّت اللغة العربية عن هذا الركب الحضاري إلى حدّ ما ممّا جعل اللغة العربية لم تستثمر بالشكل المطلوب مفاهيم ومبادئ اللسانيات.

[1]- وقد تجنبنا تفصيل جميع المراحل لضيق المكان وكثرة النظريات والنقود التي سجلها العلماء قديما وحديثا بشكل شخصي أو في إطار مذاهب ومدارس، ومن باب ربط هذه العناصر باللسانيات فقد اشترط كارل بوبر مجموعة من الشروط المخصوصة بالتجربة وهي:

1- **يجب أن تكون تركيبية أي متسقة، وهذا حال اللسان.**
2- **وان تكون قابلة لتمثيل عالم الممكن، وهذا حال الكلام.**

3- ويجب ألا تكون ميتافيزيقية، وهذا ما أثبته سوسير للسان كما رأينا سابقا. وللمزيد من التفصيل في هذه المرحلة والمراحل الأخرى ينظر: كارل بوبر، **منطق البحث العلمي**. تر: مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان 2006م، ص74 وما بعدها.